**جامعة 8 ماي 1945 قالمة**

**قسم علوم الإعلام و الإتصال**

**السنة الثانية ماستر : اتصال جماهيري والوسائط الجديدة**

**السداسي الأول**

**إثنوغرافيا الجمهور و المستخدمين**

**الطرق الإثنوغرافية لدراسة المجتمعات**

1. - المورفولوجيا الاجتماعية : Morphologie sociale

يتكون كل مجتمع من جماهير و دراسة هذا المجتمع باعتباره يتكون من جماهير و في ميدانه بشكل ما نسمه \*مرفولوجيا اجتماعية\* حيث تسمح بفهم الديموغرافيا Démographie و الجغرافيا البشريةGéographie humaine.

2- الفيزيولوجيا الاجتماعية Physiologie sociale :

تدرس الظواهر في حد ذاتها و وظائفها، خلال حركيتها ،و قد صنفها حسب درجة ماديتها الى:

\* التقنيات les techniques: تشمل كل الفنون و الحرف الخاصة بالانتاج بما في ذلك كل العلوم فلا يوجد مجتمع بدائي يكون مجردا من العلوم، بالاضافة طبعا الى الحرب التي اعتبرها Mauss Marcel ضمن التقنيات كونها تعتبر فن التخريب.

\* الستطيقا L’esthétique : و تهتم بالجانب الجمالي للمجتمع الذي يعتبر ماديا بنسبة كبيرة حتى عندما يظهر مثاليا

\* الاقتصاد L’ économie: يهتم بكل الظواهر الاقتصادية و كل ما يتعلق بالأموال، بالإضافة الى الظواهر القانونية.

\* الظواهر العامة Phénomènes généraux: و تشمل هذه الظواهر اللغة في المرتبة الاولى و يليها الظواهر الوطنية Phénomènes nationaux داخل الوطن ذاته و الظواهر الخارجية Phénomène internationaux

2- الطريقة المورفولوجية و الكارتوغرافية Cartographique: و التي لها علاقة برسم الخرائط الجغرافية: تقام على كل اعضاء المجتمع محل الدراسة، و يجب ايضا وضع

خريطة جغرافية للمجتمع المدروس كما يتم تسجيل كل المواضع التي يمكن ان نرصد حضور افراد و عددها و عدد سكانها، فالإحصاء الديمغرافي يعتبر اساس اي مهمة، اما بالنسبة للأسر فالجرد يجب ان يكون كاملا من خلال **تحديد :** العمر، الجنس، والطبقة الخ، و تتضمن طريقة الجرد وثيقة كارتوغرافية Une fiche cartographique تسمح بتحديد كل موضع بدقة: مخطط المنزل ، مخطط كل طابق منه إن امكن و مخطط كل غرفة...الخ.

\* الطريقة التصويرية(الفوتوغرافية) : يجب تصوير كل الاشياء المدروسة دون اهمال اي عنصر و يجب ان ترفق عملية التصوير بتحديد الوقت و المكان و الابعاد الخاصة بكل صورة

\* الطريقة الفيلولوجية Méthode philologique : و هي طريقة فقه اللغة وتفترض معرفة الباحث بلغة الشعوب الاصلية La langue indigène حيث يجد الباحث نفسه ملزما بتأسيس مجموعة كاملة من النصوص المسموعة، دون اي إقصاد بما فيها النصوص اللفظية او السوقية التي لا تقل اهمية فيجب عليه نقل كل الكلمات الاصلية Les mots indigénes و تسجيل الموسيقى عندما يتعلق الامر باللغات التي تحوي عدة لهجات، كما تعد عملية البحث عن مخبرين قادرين على إعطاء عادات ثابتة افضل طريقة لتعلم لغة البلد محل الدراسة، إذ ان التسجيل الفيلولوجي يجب ان يتم كلمة مع الحفاظ على صحة الترجمة.

- الطريقة السوسيولوجية Méthode Sociologique :

تقوم هذه الطريقة اساسا على تاريخ المجتمع المدروس، حيث تجدر العودة الى ثلاثة او اربعة اجيال سابقة، كما تجدر دراسة تركيبية المجتمع و التركيز على تاريخ الاسر، باعتبار ان الاسرة هي الخلية الاساسية للمجتمع ، و من ثمة تاريخ الافراد.

إن الاستعمال المتزامن لمختلف هذه الطرائق لا يسمح فقط بالوصول الى تحديد الجماهير بل يمكن ايضا من التوصل الى تحديد الافراد المتواجدين ضمن الجمهور و التعرف عليهم اكثر فاكثر، وللتحديد اكثر، فإن الملاحظة يجب ان تكون كاملة و شاملة لكل الجوانب، أين؟ من قبل من؟ كيف؟ و لماذا وقع هذا الشيء او ذاك؟....و غيرها من الاسئلة التحليلية الدقيقة، و التي من خلالها يمكن التوصل الى نتائج دقيقة و واضحة.

•أثنوغرافيا الاتصال:

يتفاعل الناس مع بعضهم البعض عن طريق اداة مهمة هي :اللغة، و قد اسس الباحثان الامريكان” دال هايمز Dell Hymes“ و جون قمبرز “Gembers هذا التيار المتمثل في \*اثنوغرافية الاتصال\* ، حيث استفاد من افكار و ابحاث مختلف التيارات الفكرية في مجال النثروبولوجيا و السانيات و سوسيولوجيا اللسانيات \* اثنوغرافيا الاتصال\* اين عرضا \*المقاربة الاثنوغرافية\* التي اعتبرت مقاربة جديدة. و هي الاستفادة من الافكار التي طرحت في تخصصات مختلفة لدراسة مقاربة التفاعلات السلوكية اللغوية، و هذه الاخيرة هي مقاربة منهجية وو لغوية اعتمدت على التحليل الميداني، هذان الباحثان لم يقتنعا بالدراسات و الابحاث التي قدمت من قبل التيار اللساني سواء من قبل الباحث “ دي سوسور” و لا جاك ويسون، لان هذا التيار حسب Dell Hymes و Gembers يرى ان بنية اللغة هي بنية مغلقة و مستقرة.

و قد اهتمت هذه المقاربة بوضع تصنيف لوضعيات اللغة، و هذا الذي يقوم على التوليف بين البحوث الإمبريقية هي العادات اللفظية للجماعات الانسانية و الاشكاليات المرتبطة بالتنوع اللغوي( ازدواجية اللغة، تعدد اللغة، ازدواجية اللهجات، تعدد اللهجات.... و مفهوم أخر هو Diaglossieاطلقه مارتن توماس Marten Thomas و توجد فيه لغة ثانوية اساسية تستفرد بالسلطة في مجتمع من المجتمعات، و مقاربة ”سميث هي الاخرى ركزت على محاور بخصوص اثنوغرافيا الاتصال على النشاط اللغوي للمتخاطبين في وضعية التفاعل“، حيث تهتم بتحليل كيفية استخدام اللغة و مدى تاثير مكوناتها على بعضها البعض و يضيف Gembers ان عند حدوث تبادل لغوي لا يهتم الافراد بالحديث فحسب، بل اكثر من ذلك اي النظرات، اللهجة نبرات الصوت، الإشارات، الايماءات، حدة الصوت...الخ، التي تعتبر مهمة في الاتصال، و اوضح Hymes بان الاتصال لا يقوم فقط على تبادل الرسائل ، و انما يتركز ايضا على تبادل التفاعلات و المعانات Transaction و كذا المفاوضات، لحدوث كل هذا، لابد من الانتباه و التركيز اثناء البحث الإثنوغرافي.

- يعتبر الاتصال تفاعل و معاملة Interaction et Transaction و مفاوضات ، معناه أن الفرد يعطي حجة يدافع بها عن رأيه، و بالمقابل الآخر يرفض و يعط رأيه بحيث نلتمس أخذ و رد و هذان ميزتا المفاوضات.

- يرفض هذا التيار اعتبار اللغة نسقا مغلق مما دفعه الى التفكير في الطريقة التي تبرر اللغة كشيء معبر عنه ، أي تعبير عن تنظيم اجتماعي معين لذلك عندما انطلق الباحثان استند على ثلاث مفاهيم تحليلية اساسية:

•السلوك الخطابي: بحيث لا يمكن فصل السلوك عن الاتصال او عن الثقافة

• الجماعات اللغوية

•فعل الكلمة L’acte de parole: و هذه المفاهيم التحليلية ركزت على إبراز اشكاليتين رئيسيتين هما ”الكفاءة الاتصالية ”و اشكالية اجداء اللغة

(La compétence de la langue)إذ لا يمكن الحديث عن كفاءة اتصالية دون او خارج الحديث عن كفاءة لغوية ،فاللغة هي مفهوم يتصل بأداة اللغة و هي مفاهيم اقتبست من البراغماتية، اذن فالتفاعلات اللغوية يمكن ان تؤدي الى تغيير في الواقع.

يهتم Hymes باللغة في الفعل و استخداماتها و تنوعها داخل مجموعة اجتماعية، اما بالنسبة لاثنوغرافية الاتصال فالاهتمام باللغة يكون من خلال الفعل داخل جماعة، حيث انه في الواقع ينقل هايمز و اتباعه التيار من اثنوغرافية التركيز على الكلمة الىاثنوغرافية التركيز على الاتصال، فالكلمة ليست شيء اعتباطي، و انما هي بالنسبة لهذا التيار ”نسق” ، هذا النسق يخضع لقواعد معينة و هذه القواعد توضح لنا الكيفيات، التي يقوم من خلالها المتخاطبون(الخطابة) بترتيب تفاعلاتهم في سياقات خصوصية، بمعنى ان الكلمة قواعد في سياقات خصوصية، كذلك احترام الدور فعندما نتكلم و نعطي الدور بعد ذلك لآخر للتحدث هذا ما يقصد بترتيب التفاعل، و هذه القواعد المتفق عليها مرتبطة بسياقات معينة لا يمكن اعتبارها انساقا عامة، يعني انها لا تطبق على المجتمع ككل. و هناك مفهوم ”كفاءة الاتصال” هذا المفهوم يقصد به ما يحتاج المتحدث لمعرفة من اجل الاتصال بطريقة فعالة في سياقات ثقافية ذات دلالة داخل انساق معينة، الكفاءة الاتصالية هي ملائمة الرسائل اللفظية لسياقها، دو هي مسألة غير قابلة للفصل عن بعض المسائل و القيم و الحوافز التي تمس اللغة و سماتها و استخداماتها ، كمت انها غير قابلة للفصل عن الاتجاهات المتعلقة بالعلاقات المتبادلة لبنى اللغة و باقي قواعد السلوك اللغوي.

**\* أهمية الاثنوغرافيا في علوم الاعلام و الاتصال:**

ان الاثنوغرافيا هي الدراسة التحليلية للمجموعات الاثنية المعاصرة، فهي دراسة لخصائص تلك المجموعات المادية و الاجتماعية و اللغوية، و هي من ناحية اخرى دراسة الاتجاهات دراسية حول العلاقات بين خصائص المجموعات الاثنية و حول اسباب الاختلافات بينها و خصة التمليز في مختلف انماط التفاعلات، التي تحدثها انظمة الاتصال الرقمية في أوساط مختلف المجموعات المحلية، في علاقات بالاتصال الدولي الشامل. و تقوم المقاربة الإثنوغرافية على الملاحظة و تحليل سلوكيات الجماعات البشرية معتبرة في خصوصيات و تستهدف اعادة بناء ، و باقصى ما يمكن من الامانة، حياة كل واحد منها و مهمة الدارس في المجال الاثنوغرافي الرئيسية، هي توضيح تجارب كائنات بشرية بالشكل الذي يساهم انتماؤها الى جماعات اجتماعية في تحديده هويتها، و للوصول الى ذلك، يعمل على تأويل بعض المظاهر الثقافية التي تتقاسمها هذه الجماعات المحلية، خاصة في المجتمع الكوني كما يعمل على تفسير المتمثلات الثقافية و تأويلها بشكل يجعلهم مهمتان متكاملتان في فهم الظواهر الثقافية لدى مختلف الشعوب و الامم.

فهناك اهتمام كبير بهذه المقاربة في حقول البحث في علوم الاعلام و الاتصال خاصة في دراسات الجمهور، فعجز المقاربات الكمية في اعطاء فهم دقيق و جعل الكثير من الباحثين يميلون الى استعمال المقاربة ، فبالرغم من كون هذا المقترب براغماتي بالدرجة الاولى(يأخذ بعين الاعتبار فقط المصادرة المتوفرة، و المعطيات المستهدفة من البحث) تبقى أنسب مقاربة تسمح بالدخول الى عوالم العائلات و سياقاتها في إطار تلقي الرسائل الاعلامية لفعل فردي و اجتماعي ووصف افعال هذه العائلات و اشارتها في علاقتها مع استعمال التكنولوجيات الجديدة للإعلام و الاتصال، فالمقترب الاثنوغرافي يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة مشاركة فعالة ضمن الفريق موضوع الدراسة.

كما يوفر المقترب الاثنوغرافي تقريرا وصفيا مستعملا مجموعة من الادوات المنهجية في مقدمتها المقابلات الودية الغير الرسمية و الملاحظة بالمشاركة و يستعين الباحثون في دراسة الجمهور بهذا المقترب الإثنوغرافي في حالات يكون فيها موضوع الدراسة غير مألوفة لدى فريق التحقيق، حيث يعتقد ان السياق العام له تأثير مهم في مجريات الدراسة، و يتم التركيز عليه لفهم محيط الدراسة و تكوين نظرة شاملة على مختلف المسائل المرتبطة بموضوع البحث الذي يتطلب بالضرورة معرفة قبلية له من طرف الباحث، كما ان التحدي الذي يواجه الباحثين في مجال الجمهور و التلقي يكمن في تحديد \* تمثيل\* مناسب للجمهور الذي يحيل تعريفه ثقافيا بالضرورة الى نظرة معينة للعلاقة بين وسائل الاعلام و المجتمع، كما ان المقاربة التي تترع عن الجمهور كل صفة فردية و تحليل الى جماهير متنوعة محددة انطلاقا من ملاحظة الممارسات تقترح مفهوما جديدا في صيغة الجمع للتكنولوجيا الحديثة و المجتمع الإلكتروني معا.

فهذه المقاربة تنطلق من الاعتراف بالتمايز الاجتماعي القائم على اعتبارات متنوعة منها: دور الاعراف و التقاليد الاثنية المحلية (النزابية، الترقية، الشاوية.... و غيرها من التفرعات الامازغية) في اختيار علاقة السلطة القائمة بين الرجل و المرأة و الاباء و الابناء و تطورها من خلال التعامل مع التكنولوجيا المنزلية و الولوج الى المجتمع الإلكتروني حيث الجمهور ذو القدرة على التواجد الكلي في عالم شمولي و متنوع الخصوصيات في ذات الوقت و غير محدد جغرافيا (Ubiquitous ) حيث تنهار الفواصل الجغرافية و الزمنية امام قضاء لا متناهي.